مقاربات تحليل الخطاب

Approaches to discourse analysis

خالف أمال[1] ، مالفي عبد القادر[2]

[2،1] جامعة عبد الحميد بن باديس للعلوم الاجتماعية ، خروبة مستغانم (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2018-12-05؛ تاريخ المراجعة : 2021-06-15؛ تاريخ القبول : 2021-06-30

ملخص :

حاز موضوع الخطاب على اهتمام واسع من قبل الباحثين في مختلف المجالات، الأمر الذي أدى إلى تعدد مقاربات تحليل بنيته بغية فهمه وإدراكه، ومن هؤلاء الباحثين؛ عالم اللسانيات فردينان دي سوسير الذي أسس ومهد من خلال آرائه وأبحاثه الطريق إلى مقاربة منهجية تعتمد مبدأ الكلية المنتظمة، وكذلك شارلز سندرس بيرس الذي ذهب إلى إمكانية دراسة أي ظاهرة بغض النظر عن طبيعتها ولغتها إذا ما عدت علامة لسانية أو غير لسانية، إلى جانب جاك دريدا الذي نادى بالانتقال من الخطاب اللساني إلى الخطاب الكتابي، من أجل الاقتراب إلى فهم الخطاب المحدد بطبيعته السردية. إن لكل مقاربة من هذه المقاربات مفاهيماً وأسساً تختلف عن غيرها، لكنها تلتقي عند مسعى واحد؛ وهو تحليل الخطاب على مستوى بنيته البسيطة أو على مستوى بنيته المركبة، وذلك لتسهيل دراسته، وبالتالي فهمه وإدراكه من طرف الباحث. عليه نسعى من خلال مقالنا هذا إلى معرفة الكيفية التي تناولت بها المقاربات المنهجية الخطاب ضمن تحليلها؟ وفيم تتمثل أسس كل مقاربة؟

كلمات مفتاحية: الخطاب، المقاربة البنيوية، المقاربة السيميائية، المقاربة التفكيكية.

Abstract :

The subject of the discourse gained wide interest by researchers in various fields, which led to the multiplicity of approaches to analyzing its structure in order to understand and comprehend it. Pearce, who went on to study the possibility of studying any phenomenon regardless of its nature and language, if it is considered a linguistic or non-linguistic sign, will be examined by Jacques Derrida, who called for the transition from linguistic discourse to written discourse in order to approach an understanding of discourse defined by its narrative nature. Each approach has concepts and foundations that differ from others, and yet we find that they converge upon one endeavor, which is to analyze the discourse at the level of its simple structure or at the level of its complex structure in order to facilitate its study, and thus its understanding and perception on the part of the researcher. So, we aim by this article to know; how the methodological approaches address the discourse in their analysis, and what are the foundations of each one?.

Keywords: discourse; the structural approach; the semiotic approach; the deductive approach.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الخطاب وما يزال محط اهتمام الباحثين من مختلف الجنسيات، وفي شتى مجالات الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، الأمر الذي جعل مفهومه نسبياً، يتعدد ويختلف باختلاف هذه المجالات ومناهجها الأبستمولوجية، مع ذلك يكاد يتفق على أن الخطاب منظومة لغوية تتجاوز حدود الجملة. وفي هذا الصدد يقول عبدالهادي بن ظافر الشهري: "أما الخطاب بوصفه ما يتجاوز الجملة، فهو المفهوم الغالب في الدراسات اللغوية الحديثة" (عزي، 2009/2008).

يرجع مصطلح الخطاب إلى الكلمة اللاتينية Discursus المشتقة من الفعل Discurere ، الذي يعني الجري ذهابًا وإيابًا، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام والمحادثة الحرة والارتجال، بالإضافة إلى الدلالات التي أفضت في اللغات الأوربية الحديثة إلى معاني العرض والسرد (هشام، 2014/2013). أما المعاجم العربية فقد تطرقت إلى مفهوم الخطاب على أنه الحكم بالنية أو اليمين. أما الخطابة في الموسوعة العربية العالمية فهي القول المنطوق والمخاطب به جمع من الناس بقصد التعليم أو الإقناع أو التسلية، والتدريب على مخاطبة الجماهير جزء أساسي من التدريب على القيادة في أي مجال للنشاط(الموسوعة العربية العالمية، 1999).

أما في القرآن الكريم، فقد ورد مصطلح الخطاب في قوله تعالى: "وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" (سورة ص الآية 19)، وفسر الزمخشري معنى هذه الآية على أنه الكلام المبين الدال على المقصود بدون التباس، وفصل الخطاب فصل الخصام بالكلام الذي يميز بين الحق والباطل، وبذلك يضع الزمخشري الخطاب موقع الكلام فيقول: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"(سلامة، 2009/2008). وفي قوله عز وجل: "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب" (سورة ص الآية 22). وقوله سبحانه وتعالى: "ربّ السّموات والأرض وما بينهما الرّحمن لا يملكون منه خطابًا" (سورة النبإ الآية 37)، فقد ورد الخطاب في هاتين الآيتين أيضا بمعنى الكلام.

تعد أبحاث فرديناند سوسير الانطلاقة الأولى لمفهوم الخطاب، فقد كان له الفضل في توضيح دلالات الخطاب ضمن كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة، إذ جعل الكلام دلالة على الخطاب. ومن الباحثين الذين وضعوا الخطاب في خانة الكلام أيضاً؛ هاريس، الذي تبنى هذا المصطلح مع عدد من الباحثين الأوائل في موضوعات دراساتهم وأبحاثهم، إذ عرف هاريس الخطاب بأنه: "الملفوظ الطويل، أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض" (سلامة، 2009/2008)، أي أن الخطاب بالنسبة إلى هاريس، هو منظومة لغوية تتشكل من مجموع جمل تربطها علاقات معينة تخضع لقواعد تنظمها في شكل خطاب. وهنا يمكن النظر إلى الخطاب، كما أشار ميشال فوكو في فحوى محاضرته "نظام الخطاب"، بأنه "شبكة معقدة من النظم الاجتماعية، السياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب." (بوقرة، 2009).

وفي الاتجاه ذاته، يرى بارت أن الخطاب يتجاوز حدود الجملة حتى وإن كانت المادة الأساسية المكونة له، وهو بذلك يساند رأي هاريس الذي يشير إلى أن الخطاب يتعدى الجملة: "إذ أن اللسانيات لا تتوقف عند حدود الجملة" (قطاف، 2013/2012)، فكانت نتيجة ذلك أن الخطاب أضحى مركز اهتمام اللسانيات المعاصرة. وإلى جانب هاريس وبارت، نجد أيضًا بنفست الذي يعرف الخطاب بأنه: "الملفوظ المنظور إليه من وجهات آلية وعمليات اشتغاله في التواصل" (قطاف، 2013/2012)، كما عرف بنفست الخطاب بأنه "كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً، حيث يسعى الأول إلى التأثير في الثاني بكيفية ما" (سلامة، 2009/2008). ومن خلال هذا التعريف يتضح أن بنفست أضاف الوظيفة التواصلية للغة باعتبارها خطابًا ينطلق من توفر عناصر الاتصال المتمثلة في المرسل (المخاطب) والرسالة (الخطاب)، والمتلقي (المخاطب) وهدف التأثير، "فاللغة أداة للاتصال تجد تعبيرها في الخطاب(سلامة، 2009/2008).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويفرق فان دايك بين الخطاب والنص، فيقول: إن الخطاب "عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة، أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب، وبتعبير آخر، فإن الخطاب ملفوظ ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية، بينما النص شيء افتراضي ناتج عن لغتنا العلمية (قطاف، 2013/2012)، وفي هذا الصدد، أكد الأستاذ فاتح زيوان في مقاله "نحو خطاب نقدي عربي معاصر" على أن أصل الخطاب يرجع إلى كل ما هو شفوي. كما أشار محمود عكاشة -في السياق ذاته عن الخطاب- بأنه:" القول الموجه من المتكلم (أنا، نحن) إلى المتلقي المخاطب (أنت، أنتما، أنتم، أنتن)، لإفهامه قصده من الخطاب صريحًا مباشرًا، أو كناية، أو تعريضًا في سياق التخاطب التواصلي" (عكاشة، 2013). وعلى عكس هؤلاء يضع محمد عابد الجابري الخطاب موضع النص: "النص رسالة من الكاتب إلى القارئ ... فهو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر." (عكاشة، 2013).

أما عن مفهوم تحليل الخطاب، فقد ظهر المصطلح نتيجة للأبحاث التي قام بها الباحث زيلغ هاريسZollig Harris حيث نشر له مقالا في مجلةLanguage يحمل نفس العنوان "تحليل الخطاب" والذي قصد منه توسيع الطرق التوزيعية التقليدية لتشمل ما فوق الجمل من وحدات، وتوالت الأبحاث في هذا الموضوع حيث نشرت المجلة الفرنسية Communicationالعديد من الدراسات لعدد من الباحثين أمثال بارت، ميتز، تودوروف، بريموند، جريماس، وأمبرتو ايكو.

وقد شهد مفهوم تحليل الخطاب -إلى جانب الخطاب- تداخلات واختلافات نتيجة تعدد وتنوع المجالات التي تناولته بالدراسة، مما جعل وضع تعريف شامل موحد له أمراً صعباً. فقد عرف في مجال اللسانيات الاجتماعية بأنه "الاهتمام ببنية التفاعل الاجتماعي المتحققة بوسائل أهمها الحوار" (باتريك و تر:عبد القادر، 2008). بينما ارتبط تحليل الخطاب وفقاً للسانيات النفسية بقضايا اللغة والإدراك. أما لدى فلاسفة اللغة فهو مفهوم يهتم بتسليط الضوء على العلاقات والدلالات التي تربط أزواجاً من الجمل، والعلاقات بين الجمل والواقع، بغية الوصول إلى أحكام يمكن تحديد صدقها من عدمه وفق معايير معينة. وقد ورد مفهوم تحليل الخطاب في كتاب المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب لدومنيك مانغونو على أنه: "دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية" (مانغونو و يحياتن، 2008).

ووفق هاريس فإن تحليل الخطاب هو؛ "كل خاص متماسك في متتالية من الأشكال اللغوية مرتبة في جمل متعاقبة" (عزي، 2009/2008)، بينما يعرفه جورج مونان George Mounin بأنه:" كل تقنية تبحث عن تأسيس العلاقات أو الصلات التي توجد بين الوحدات اللغوية للخطاب المكتوب أو الشفوي، على مستوى أعلى من الجملة" (عزي، 2009/2008)، وبهذا فتحليل البنية اللغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب لا يقف عند حدود الجملة، بل يتعداها إلى إدراك مستوى الحوار والنص، ودراسة اللغة ضمن سياقها.

يتحكم في الخطاب مدرستان الأولى المدرسة الإنكليزية التي ترى أن الخطاب بمعنى المحادثة أو الحديث، وهنا يجري عليها التحليل، فتكون كل الخطابات خاضعة للبحث والتحليل، بمعنى التحليل يجري على النصوص. والمدرسة الأخرى الفرنسية، وهي ثمرة التقاء تيارات منحدرة من تخصصات علمية مختلفة، مثل: التاريخ، واللسانيات، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس التحليلي، ورائدها ميشيل فوكو، الذي يرى أن الخطاب البعد الثقافي المرتكز قبل النص بمعنى الأدلجة الحاكمة، فيكون التحليل لها وللمعطيات الاجتماعية، والثقافية، والنفسية. (خالد، 2020)

I. أنواع الخطاب:

هناك عدد من التصنيفات التي حددت أنواع الخطاب، من أبرزها:

- الخطاب الوصفي: يعتمد هذا النوع من الخطاب في مجال الاتصال لغرض تصوير مشهد أو شخصية، أو التعبير عن موقف معين أو نقل مشاعر وفق رؤية موضوعية أو ذاتية، وإن أهم ما يميز الخطاب الوصفي؛ الدقة، واحتواؤه الأفعال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الماضية والمضارعة، واعتماده على ظروف الزمان والمكان، وموضوعه تنازلي، أي أنه ينتقل من الأساسي إلى الثانوي، إضافة إلى غناه بالصور البيانية والمحسنات البديعية.

- الخطاب الحجاجي: يهدف هذا النوع من الخطاب إقناع طرف ما بوجهة نظر أو موقف معين، مستخدمًا بذلك حججاً وبراهين حقيقية، ويعتمد غالباً في المقابلات والحوار بين الأطراف، إذ يسعى كل طرف إلى فرض رأيه وموقفه مدعمًا إياه بالحجج والأمثلة الواقعية، لذا نجد الطابع الجدلي هو الغالب في هذا النوع من الخطابات.
- الخطاب التفسيري: تتمحور وظيفة هذا الخطاب في توفير المعلومات المجهولة بالنسبة للمتلقي، ونجده غالباً في شكل نصوص علمية وتاريخية تتوفر ضمن الأمثلة التي تقدم تفسيرًا واضحًا ومفهومًا للمستقبل، لذا يعتمد هذا النوع من الخطاب أسلوب التحليل والتفسير مستعيناً بالحجج والأمثلة التي تسهل وتقرب الفهم.
- الخطاب السردي: يقوم هذا النوع من الخطاب على نقل حركة الأحداث وشخصياتها في إطار زماني ومكاني معين عن طريق الأسلوب الخبري، وينضوي تحت هذا النوع الخطاب الروائي.

II. دلالة الخطاب:

من بين تحديدات دلالات الخطاب تلك التي تميز بين دلالة لفظية وأخرى نصية للخطاب، وهي:

1. الدلالة اللفظية: وتنضوي تحتها دلالة اللفظ وفق السياق ودلالة اللفظ وفق المعنى، أما دلالة اللفظ وفق السياق فتعني أن لكل لفظ معنى يوضع له في سياق معين، ويختلف هذا المعنى باختلاف السياق، ولكل لفظ موقعه في التعبير، فلا يمكن استبداله بلفظ آخر، أما دلالة اللفظ وفق المعنى فتنقسم إلى:

أ- دلالة التطابق: يعنى بها تطابق اللفظ للمعنى، كقولنا "حيوان عاقل"، دلالة على الإنسان، ذلك لأن الأخير يتميز بالعقل دون بقية المخلوقات.

ب- دلالة التضمين: وهي دلالة من بين المدلولات العديدة للفظ، إذ يمكننا من خلالها إدراك ما هو جزئي من أصله الكلي، لأن الكليات تتضمن الجزئيات، فالوجه أو اليد أو الرأس دلالة على الإنسان، لأن جميعها تعد عضواً من أعضائه تدل عليه.

ت- دلالة التلازم: نقصد بها دلالة اللفظ الملازم للمعنى، إذ لا يمكننا الوصول إلى المعنى الدقيق وفهمه إلا من خلال استدلال اللفظ على غيره، فعلى سبيل المثال؛ الشجاعة تلازم الإنسان القوي، والعجلات تلازم السيارة، أي أن مجرد وقوع اللفظ في أذاننا، ندرك مباشرة المعنى الذي يلازمه والذي يدل عليه.

2. الدلالة النصية: تتفرع الدلالة النصية إلى دلالة صريحة تدل مباشرة على معنى اللفظ، ودلالة ضمنية تدل على المعنى المقصود أو المرمى إليه من وراء اللفظ، أي أنه المعنى الضمني غير المباشر للفظ الذي يمكننا استخلاصه وفهمه من خلال التمعن الدقيق في اللفظ.

III. مقاربات تحليل الخطاب:

تحليل الخطاب مصطلح جامع ذو استعمالات عديدة، يشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة: التداولية، السيميائية، اجتماعية، نفسية، أسلوبية ... إلخ، إنه في استفاضة دائمة: موضوعا، مجالا، منهجا. يسعى إلى تحليل وفك شفرة الخطاب من أجل فهمه على اختلاف أنواعه: (أدبي، شعري، نثري) سياسي، إشهاري، اجتماعي، نفسي، تعليمي، علمي... إلخ. حتى لا نقف عند الخطاب مكتوفي الأيدي وعاجزين لا نملك آليات التحليل، ولا قدرة على القراءة والتأويل، باعتباره خطابا متماسكا اية في التعقيد والتشابك. فيمكن أن نقاربى تحليل الخطابى من عدة زوايا، سيميائية، أو أسلوبية، أو تداولية، أو حجاجية ... والذي يفرض علينا اختيار المقاربة المناسبة هو نمط الخطاب والأهداف منه. (سعد، 2017)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالرغم من التباين والاختلاف، وأحيانا التوافق في تحديد مفهوم تحليل الخطاب، إلا أن عملية تفكيك الخطاب بجميع أنواعه إلى وحدات جزئية (تمثل أساس بنيته ودلالته من أجل تحديد وظيفة كل وحدة من هذا الخطاب باعتباره منظومة لغوية تؤلفها مجموعة جمل تتشكل في سياق معين)، تستدعي مقاربة تحليلية تفككها إلى وحدات بسيطة بغية تفسير وفهم الدلالات الضمنية، ومن بين هذه المقاربات التي اهتمت بتحليل الخطاب:

1. المقاربة البنيوية: تعود مفردة البنيوية أو الـ"بنية" للفعل اللاتيني strure، وهي كلمة تحمل معنى "المجموع أو الكل المؤلف من عناصر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ويتحدد من خلال علاقته بما عداه، فهي نظام أو نسق من المعقولية التي تحدد الوحدة المادية للشيء، فالبنية ليست هي صورة الشيء أو هيكله أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاءه فحسب، وإنما هي القانون الذي يفسر الشيء ومعقوليته" (أحمد، 2005)، كما تعنى البنية بالترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني (بوقرة، 2009).

تزامنت انطلاقة المقاربة البنيوية مع عالم اللسانيات فرديناند دي سوسير من خلال محاضراته التي جمعت من قبل تلميذته في كتاب عنوانه "دروس في اللسانيات العامة"، وعلى الرغم من أن دي سوسير لم يوظف مصطلح البنيوية أو البنية، إلا أنه أسس ومهد من خلال آرائه وأبحاثه الطريق إلى هذه المقاربة المنهجية التي تعتمد مبدأ الكلية المنتظمة، أي أن كل ظاهرة بغض النظر عن طبيعتها، بما في ذلك الخطاب، تشكلها بنية خاصة تتطلب تحليلًا موضوعيًا إلى جزيئاتها البسيطة، فهي تهدف إلى ضبط الاختلافات بين هذه الأجزاء وتحديد العلاقات التي تجمعها من خلال عملية تحليل الخطاب إلى أجزائه البنيوية والوظيفة التي تؤديها ضمن الكل، ثم إعادة تشكيله من جديد، إلا أن هذا التحليل ينبغي أن يتم بمعزل عن كل العوامل والمؤثرات الخارجية، فهي تلغي بذلك صاحب الخطاب وإطاره الزمني.

لابد من الإشارة إلى أن أهم ما جاء به دي سوسير هو التمييز بين ثنائية اللغة والكلام، فجعل اللغة نظاماً يتضمن علامات تنتجها جماعة معينة تؤدي إلى إنتاج فكرة، أما الكلام فهو الأداء الفردي للمخاطب ينبع عن إرادته الذاتية للتعبير عن فكرته الشخصية، "فاللغة أصوات دالة متعارف عليها في مجتمع معين وإن لم توجد واقعًا منطوقًا لأي فرد من أفراده، أما الأقوال فتعني كل الحالات المتحققة من استعمالات اللغة ولا يكون واحد منها، ولا يلزم أن تكون جميعها ممثلة للغة في كمالها ونقائها المثاليين" (بنيني، 2008/2007)، كما قام دي سوسير بتحليل ثنائية الدال والمدلول فجعل من الأول تمثيلًا لجزء صوتي، مثل الصوت في الخطاب المسرود أو الحرف في الخطاب المكتوب، أما المدلول فمثله بالجزء الذهني، أي الصورة التي تتكون في الذهن بعد إدراك الدال، وأشار إلى هناك علاقة اعتباطية تربط الجزأين، بالإضافة إلى ثنائية التزامن والتعاقب، إذ يرى أن الظاهرة اللغوية يتم دراستها في فترة زمنية معينة دون إتباع مسارها التطوري عبر الزمن، وهذا ما قصده بالتزامن، أما في حال تم دراسة هذه الظاهرة اللغوية عبر تتبع تطورها خلال فترات زمنية مختلفة وما طرأ عليها من تغيرات فذلك هو التعاقب.

لقد اقتصرت المقاربة البنيوية في بداية الأمر على مجال اللسانيات، إلى أن قام كلود ليفي ستراوس بتطبيق هذه المقاربة على باقي العلوم، مؤكداً أنها تطبق على جميع أنواع الدراسات بغض النظر عن طبيعة موضوعها أو المجال التي تنتمي إليه، لأن طبيعة الخطاب تجعله يحتوي بنيتين إحداهما واضحة والأخرى ضمنية تتطلب تحليلًا لتوضيح العلاقات التي تجمعهما، كما ينبغي دراسة بنية هذا الخطاب في "نسق من العلاقات الباطنية له قوانينه الخاصة المحايدة بصفته نسقاً يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يقضي فيه أي تغير في العلاقات إلى تغير في النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يبدو معها النسق دالًا على المعنى" (مناصرية، 2011). كما ذهب ستراوس إلى أن المقاربة البنيوية "ترفض ثنائية الشكل والمضمون، لأن لهما الطبيعة نفسها، ويستحقان العناية ذاتها في التحليل، فالمضمون يكتسب واقعه من البنية، وما يسمى بالشكل ليس سوى تشكيل لهذه البنية من أبنية موضوعية أخرى تشمل فكرة المضمون نفسها، ونتيجة لهذا التصور فإن البنية لا تبتر الواقع، بل العكس، هي تتيح الفرصة لإدراكه بجميع ظواهره" (بنيني،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2008/2007). أما بالنسبة لميشيل فوكو، فيرى المقاربة البنيوية محاولة تحليل الوثائق المتراكمة، التي هي عبارة عن مجموعة دلالات أنتجتها البشرية في زمني الماضي والحاضر، وهو ما أسماه التراكم الوثائقي.

يتضح من ذلك، أن البنيوية اهتمت في بداياتها باللغة، وقد تمثل ذلك بالبنيوية اللسانية مع رائدها دي سوسير، التي تدعو محللي الخطاب أن يدرسوا علاقات وحداته وبنيته المشكلة له بهدف الوصول إلى نظام يجعل من هذا الخطاب موضوع الدراسة الأدبية، وهذا ما ذهبت إليه البنيوية الأدبية. وقد اعتمد رولان بارث هذه المقاربة ضمن أبحاثه، إذ تطرق من خلال محاضراته "التحليل البنيوي للسرد"، إلى أن تعدد الخطابات سببه تعدد وتنوع السرد في حد ذاته، كما في الأسطورة، والقصة القصيرة، والرواية، واللوحات التشكيلية والسينما وغيرها من الفنون، فبالنسبة لبارث فالسرد هو متتالية لامتناهية تفرض الزمان والمكان في المجتمعات البشرية، ما يعني أن لغة الخطاب قد تكون لسانية أو غير لسانية، ومن إنتاج الفاعل البشري ضمن إطار تاريخي (زماني/مكاني)، ما يجعل دراسة الخطابات لا تقتصر على مجال اللسانيات فحسب، وإنما هو أيضًا أحد مواضيع دراسة العلوم الإنسانية. وبالتالي فقد عمل بارث على إخراج دراسة وتحليل الخطاب من دائرة المقاربة البنيوية لدي سوسير الذي تحلل بنى الخطابات بمعزل عن الظروف الخارجية المؤثرة في إنتاجه إلى فضاء تتم فيه المقاربة البنيوية السردية التي تهتم بالنسق الداخلي للخطابات وبنيتها والقواعد التي أسهمت في إنتاجها، إلى جانب بارث نجد أيضا هلمسليف، وجاكبسون، وهاريس، وبلومفيلد، وتودوروف وآخرون.

2. المقاربة السيميائية:

تعد المقاربة السيميائية منهجية تحليلية تشتغل في مقاربة الخطابات والأنشطة البشرية تفكيكًا وتركيبًا وتحليلًا وتأويلًا (حمداوي)، فتسعى لاكتشاف العلاقة بين العلامات، وهذا جعل مجال الأدب والفنون الأخرى مثل؛ السينما، أرضية خصبة لها، كما أنها لا تهتم بالخطاب ولا بصاحبه، وإنما تهتم بمضمون والكيفية التي تم بها هذا الخطاب، وبالنسبة لها فالعلامة ترمي إلى دلالات ومعانٍ متعددة. وإذا كان دي سوسير قد أشار من خلال مفاهيم دراساته للمقاربة السيميائية، إلا أن الباحث الأمريكي شارلز سندرس بيرس C.S.Peirce قد أرسى مبادئها وجعل منها مقاربة منطقية، إذ يرى بيرس أنه بالإمكان دراسة أي ظاهرة بغض النظر عن طبيعتها ولغتها إذا عدت علامة لسانية أو غير لسانية ويحددها في ثلاث، العلامة الأيقونية، وعلامة الإشارة، وعلامة الرمز:

أ- العلامة الأيقونية: وتعني كل دليل لغوي أو غير لغوي، تهيمن فيه الخصائص التصويرية، والعلاقة بين الدال والمدلول علاقة تشابه وتماثل، مثل الخرائط والصور الفوتوغرافية... (بوقرة، 2009).

ب- علامة الإشارة: وتدل على أي شيء يتعين بموضوع من جهة، وبفكرة معينة في الذهن من جهة أخرى، كالدخان والنار، ولابد للإشارة من مادة أو مرجع، كما لابد من مؤول لها (بوقرة، 2009).

ت- علامة الرمز: وهي إشارة تعود إلى الشيء الذي يدل عليه بفعل قانون يتكون عادة من تداعي عالم الأفكار، ويتحدد ترجمة الرمز بالرجوع إلى هذا الشيء (بوقرة، 2009).

وتتكون العلامة عند بيرس من:

أ- الماثول Le représentamen: ترسل لشخص معين عن شيء ما ، فتجعل عقله يدرك العلامة المماثلة لها.

ب- المؤول L'interprétant: يعد الوسيط الأساسي الذي من خلاله يمكن للماثول الدلالة على موضوعه.

ت- الموضوع L'objet: هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع (مالفي، 2015).

كما اهتم السيميائي جوليان ألجيرداس غريماس J.A.Greimas هو الآخر بالتحليل السردي للخطابات، فيرى أن البحث عن الدلالة ينبغي أن يتم على مستوى البنية العميقة، أي القواعد التي أوجدت التتابع بين الكلمات، وهي التي تمثل في ذهن المرسل المتلقي المثالي لهذا الخطاب (بوقرة، 2009)، وليس على مستوى البنية السطحية الظاهرة عبر تتابع الكلمات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تصدر عن المرسل (بوقرة، 2009)، ولأجل ذلك ينبغي تجاوز المعطى الدلالي الآني مع افتراض وجود معطى ممكن أن تتجلى فيه العوالم الدلالية التي تتمظهر في بنى دلالية، وعلى أساس وجود هذه العوالم يتم تنظيم البنيات الدلالية والكشف عن آلياتها (بوضياف، 2007). ومن أجل مقاربته السيميائية السردية للخطابات قام غريماس بوضع نموذجين بارزين هما؛ النموذج العاملي، وقد طبقه في تحليل البنية السطحية، ونموذج المربع السيميائي الخاص بتحليل البنية العميقة.

- **النموذج العاملي :**

هو نموذج يعمل على تقليص الوظائف الموجودة في الخطاب، والتشخيص غير التزامني للأفعال، ذلك أن السرد يقوم على التراوح بين الاستقرار والحركة والثبات والتحول في آن واحد(بوضياف، 2007). ويتألف هذا النموذج من ثلاث ثنائيات ترتبط فيما بينها بثلاث علاقات، يمكن تمثيلها بالآتي:

ذات/ موضوع = علاقة الرغبة.

مرسل/ مرسل إليه = علاقة اتصال.

مساعد/ معارض = علاقة صراع.

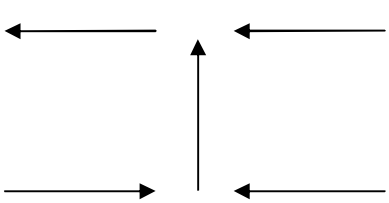

النموذج العاملي لغريماس

- **نموذج المربع السيميائي:**

هو نموذج يهتم بتحديد علاقات التناقض، أي الإثبات والتضاد، فالأولى تتحدد من خلال طرفي التعارض في الخطاب، والثانية تنشأ بين الطرفين المتناقضين المنفيين، أما العلاقة الثالثة فتكون بين الطرفين الأوليين.

حياة/ لاحياة	حياة/موت	حياة/لاموت
علاقة ثبات	علاقة تضاد	علاقة تناقض
موت/لاموت	لاحياة /**لاموت**	**لاحياة**/موت

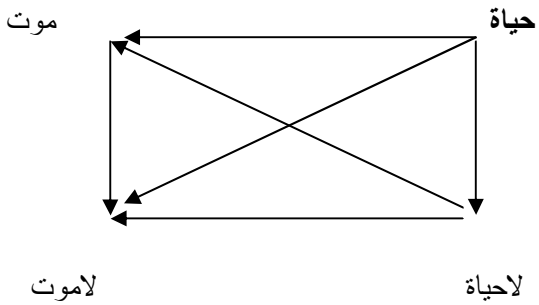

نموذج المربع السيميائي لغريماس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مجال في تحليل الخطابات السردية، فليس حقل الآداب المستفيد الوحيد من المقاربة السيميائية، فالسينما هي الأخرى لجأت إلى السيميائية من أجل تحليل موادها، فكان لكريستيان ميتز الفضل في استخدام المقاربة السيميائية السينمائية التي اهتمت منذ بداياتها بدراسة الصورة كونها مجموعة علامات ورموز، الأمر الذي مهد الطريق لظهور التحليل السيميائي للفيلم. ومن الباحثين الذين أسهموا في تبلور مناهج ومقاربات تحليل الصورة؛ رولان بارث من خلال نشر موضوع عنوانه "علم الصورة" سنة 1964 لتبرز النظرية غير اللسانية، فكان من السباقين لدراسة الصورة دراسة لسانية وسيميائية، إذ ربط هذه الأخيرة بوظيفتها التصويرية والتمثيلية للواقع، لتأتي بعدها دراسات وأبحاث كريستيان ميتز المبنية على تشابه ثنائية الصورة والتماثل الأيقوني.

وعليه، فقد مرت الصورة السينمائية بمجموعة مقاربات بداية بالمقاربة اللسانية على يد فردينان دي سوسير، جورج مونان ولوي هلمسليف، بيرس، برنار توماس، مرورا بالمقاربة النصية على يد أمبرتو إيكو ثم المقاربة البلاغية على يد رولان بارث، تليها المقاربة التداولية بزعامة روجر أودان، أما المقاربة السيميائية تأسست على يد كريستيان ميتز إلى جانب مقاربات أخرى منها نفسية وفلسفية وأنثروبولوجية. وكانت دراسة الصورة السينمائية حسب القراءة السيميائية للصورة لكريستيان ميتز تقوم على تفكيك مكوناتها البنيوية من ألوان، وأشكال ورموز، وبالتالي سيكون بوسعنا التمييز بين صورة وأخرى، إذا ما كان هناك تشابه أو اختلاف، وهكذا تتبين لنا الدلالة من خلال المعنى عبر الاختلاف والتضاد. وتنفرد الصورة السينمائية بمجموعة وظائف منها الوظيفة التصويرية، والتمثيلية، والأيقونية، والتفسيرية، والتأويلية، والتأثيرية، والأيديولوجية، والنفسية، والاجتماعية، ووظيفة التوجيه ومجموعة وظائف أخرى، ولا يمكن فهم الصورة السينمائية إلا ضمن نسق معين يمكننا من تفكيكها وترتيبها في سياق بصري.

3. المقاربة التفكيكية :

يدل مصطلح تفكيك على طريقة تحليلية تتيح الكشف عن منظومة الاصطلاحات الأيديولوجية والبلاغية التي تدعمها عن طريق تفكيك عمل ما إلى العناصر التي تكونه، ومن رواد هذه المقاربة النقدية الأدبية جاك دريدا J.Derrida الذي يعد أكبر المساهمين في وضع أسس المنهجية التفكيكية، ومن بين ما تبناه الباحث هو تخطي الدلالات الصوتية التي نادت بها كل من المقاربة البنيوية والمقاربة السيميائية إلى دلالات كتابية، أي الانتقال من الخطاب اللساني إلى الخطاب الكتابي من أجل الاقتراب إلى فهم الخطاب المحدد بطبيعته السردية، "فكل خطاب هو آلة تتكون من رؤوس عديدة من أجل قراءة خطابات أخرى" (المترجي، 2002)، ويختلف مصطلح التفكيك عند دريدا عن مفهوم الهدم والتحطيم الذي أشير إليه من قبل الاتجاهات المعارضة لهذه المقاربة، فالمصطلح يشير إلى "سؤال عن التأسيس"، وهو سؤال حول العلاقة بين التأسيس وما هو مؤسس، وحول انغلاق البنية، فالمعمار هو فن النسق" (المترجي، 2002). وبهذا يدعو دريدا إلى فتح آفاق أوسع من أجل دراسة معمقة للخطابات بجميع أنواعها، والمنظور الذي اعتمد الدال اللساني يقصي الخطابات غير اللغوية، ويرى دريدا أن الوصول إلى الإدراك والفهم النهائي للخطاب غير ممكن بتمركز المعنى الذي يمنع التعدد والاختلاف في المعاني.

كما تهدف المقاربة التفكيكية إلى تسليط الضوء على الاختلاف المبدئي بين التراث والوقع الذي تمارس فيه الخطابات بمختلف الحقول المعرفية، وهي تعمل على "اكتشاف الأجزاء المهمشة، والمخفية والمطموسة في خطاب ما، وفرز هذه الأجزاء المخفية بعد تفكيكها، لمعرفة كيف تمارس دورها ضمن البنية العامة للفكر، ومن ثم معرفة مواطن الضعف والقوة، عندئذ نتوصل إلى إمكانية أكبر وفعالية أكثر في نقد شروط إنتاج ثقافية معينة والوظائف التي تملؤها هذه الثقافة وتقوم بها" (جاك وتوما، 2005). ومن أهم المفاهيم النقدية التي ركزت عليها هذه المقاربة نجد الاختلاف، والتمركز والأثر:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- الاختلاف: ينتج عن هذا المفهوم النقدي تعدد التحليلات والتفسيرات انطلاقاً من تعدد تفسير المعاني، وهذا يكسب الخطاب قدرة على تزويد المتلقي بكم هائل من الاحتمالات والدلالات، فتجعله بذلك يعيش الخطاب بجميع حيثياته، إلى جانب دفعه لاكتشاف المعاني الخفية فيه.

ب- التمركز: يرفض دريدا التمركز الذي يؤدي إلى استخدام المركزية في غير موضعها، فالمركز بالنسبة له يمثل الجزء الهام من التركيب الخطابي والعنصر الواضح للدلالة.

ت- الأثر: يمثل لدى دريدا كل علامة لغوية.

في الختام نقول بأنه لا يمكن الجزم بوجود علاقة انفصال أو انقطاع بين المقاربات المتناولة لتداخلها فيما بينها، لكن يمكن أن نشير إلى أن كل مقاربة سبقت في الظهور، كان لها الإسهام في بروز المقاربة التي تليها، سواء كانت المقاربة مؤيدة للتي سبقتها أو معارضة، أو أسهمت في بلورة المفاهيم، ليصبح الباحث أمام خيارات عديدة لمنهج دراساته التحليلية سواء تعلق بمجال الأدب أو بالسينما أو بمجالات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحلام مناصرية. (2011). بنية الخطاب السردي في رواية السمك لا يبالي. قسنطينة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر: جامعة منتوري.
- أحمد المترجي. (2002). جاك دريدا: فيلسوف نظرية الكتابة والتفكيك. ثقافات ، صفحة 05.
- أحمد مرشد. (2005). البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- إكرام بن سلامة. (2009/2008). المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم. قسنطينة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر: جامعة منتوري.
- الموسوعة العربية العالمية. (1999). الرياض: مسسة أعمال الموسوعة للنشر والطباعة.
- أمين أحمد بوضياف. (2007). إستراتيجية البناء العاملي وديناميكيته في الخطاب الروائي. الجزائر، الأدب المغاربي الحديث، الجزائر: جامعة الجزائر 2.
- جميل حمداوي. الإتجاهات السيميوطيقية: التيارات والمدارس في الثقافة الغربية. شبكة ألوكة.
- حوير الشمس خالد. (2020). شعارات التعبير الثائرة: دراسة في تحليل الخطاب. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.
- دريدا جاك، و تر: عزيز توما. (2005). الإنفعالات. سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- دومينيك مانغونو، و تر: محمد يحياتن. (2008). المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- رشيد عزي. (2009/2008). إشكالية المصطلح في الملفات العربية: تحليل الخطاب نموذجا. بويرة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر: معهد اللغات والأدب العربي.
- زهيرة بنيني. (2008/2007). بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان. باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر.
- سارة قطاف. (2013/2012). الخطاب السردي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع. باتنة، قسم اللغة العربية، الجزائر: جامعة الحاج لخضر.
- لخذاري سعد. (2017). الدرس البلاغي العربي: بين السيميائيات وتحليل الخطاب. الرباط: دار الأمان.
- سورة النبإ الآية 37.
- سورة ص الآية 19.
- سورة ص الآية 22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- شارودو دومينيك منغنو باتريك، و المهيري حمادي صمود تر:عبد القادر. (2008). معجم تحليل الخطاب. تونس: المركز الوطني للترجمة.

- عبد القادر مالفي. (2015). تفاعل الصورة مع النص: فينومونولوجية لمسلسل الحريق. الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر.

- محمد عكاشة. (2013). تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة. القاهرة: دار النشر للجامعات.

- نعمان بوقرة. (2009). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب:دراسة معجمية. عمان: جدار للكتاب العالمي للنشو والتوزيع.

- هشام بن سعدة. (2014/2013). بنية الخطاب السردي في رواية شعلة المايدة لمحمد مفلاح. تلمسان، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر: جامعة تلمسان.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

خالف أمال، مالفي عبد القادر، (2021)، **مقاربات تحليل الخطاب**، مجلة الباحث، المجلد 13(02)/ 2021، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 171-180.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com